القرآن الكريم؛ كلاماً وكتاباً دراسة في ضوء "نظرية فنّ البيان البلاغية"

أ.د. محمد خاقاني أصفهاني
أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة اصفهان – إيران
khaqani@fgn.ui.ac.ir

The Holy Quran; orally and in writing
A study according to the "Theory of the Art of Rhetorical Expression"

Dr. Mohammad Khaqani Isfahani
Professor in the Department of Arabic Language and Literature at University of Isfahan - Iran

المستخلص

تؤكّد الدراسات اللسانية الجديدة على ضرورة التفريق بين اللغة الشفهية واللغة الكتبية. هما مظهران مختلفان من اللغات البشرية. وقد سبقت اللغة الشفهية على الكتبية بالحضور في المجتمعات البشرية سبقا طويلا، فاللغة الشفهية تمتد جذورها إلى حوالي ميليون سنة في تاريخ البشر، بيد أن اللغة الكتبية لا يتجاوز عمرها أكثر من ستة آلاف سنة. والشفهية تسبق الكتبية في عملية التعليم الطبيعي للأطفال أيضا. ولذلك تنحاز المدارس اللسانية الجديدة إلى تفضيل الكلام (اللغة الشفهية) على الكتاب (اللغة الكتبية)، على العكس من اللسانيات التقليدية التي كانت تعير كل اهتمامها إلى الكتاب. كما لا شكّ أنهما مختلفان في المهامّ والأهداف، وفي القرآن آيات تشير إلى اختلاف وظائف الكلام والكتاب. وقد أدّت "نظرية فنّ البيان البلاغية" التي صاغها هذا الباحث – وهي أول نظرية علمية رسمية مسجّلة في أقسام اللغة العربية في الجامعات الإيرانية – إلى أن القرآن الكريم يتفرّد من بين جميع الكتب السماوية في أن له ثلاث مستويات، فهو في المستوى الأول كلام لا كتاب، وفي المستوى الثاني كتاب لا كلام، وفي المستوى الثالث كلام وكتاب في آن واحد. يدرس هذا البحث القرآن الكريم وعبر المنهج الوصفي التحليلي بهذه المستويات الثلاث، وقد توصّل إلى نتائج، أهمها: أن القرآن الشفهي: كلام، وجمال، ونغم، وخشوع، وحركة، وحيوية، وحبّ، وسكر.... يحاور القلوب بكل ما يتعلق بالأحاسيس والعواطف. والقرآن الكتبي: كتاب، وكمال، واستدلال، وتدبّر، وثبات... يخاطب العقول بكل ما يتعلّق بالتفهّم والتعقّل، وعندما يجمع القارئ بين مستوييه الشفهي والكتبي يتوحّد العقل بالقلب والتدبر بالعاطفة.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الكلام، الكتاب، نظرية فنّ البيان البلاغية.

Abstract

New linguistic studies emphasize the necessity of distinguishing between oral language and written language. They are two different aspects of human languages. The oral language has long preceded the written language in human societies. The roots of the oral language extend back about a million years in human history, but the written language is only six thousand years old. Oral precedes written in the process of natural education for children as well. Therefore, the new linguistic schools are biased toward preferring speech (oral language) over the book (written language), in contrast to traditional linguistics, which used to pay all its attention to the book. There is no doubt that they differ in tasks and goals, and in the Qur'an there are verses that indicate the difference in the functions of speech and the book. The "Theory of the Art of Rhetorical Expression" formulated by this researcher - which is the first official scientific theory recorded in Arabic language departments in Iranian universities - led to the conclusion that the Holy Qur'an is unique among all the heavenly books in that it has three levels. In the first level, it is a speech, not a book. On the second level, there is a book, not words, and on the third level, there is speech and a book at the same time. This research studies the Holy Qur'an through the descriptive and analytical approach at these three levels, and it has reached results, the most important of which are: that the oral Qur'an: speech, beauty, melody, reverence, movement, vitality, love, and intoxication... it dialogues with hearts with everything related to feelings and emotions. . The written Qur'an: a book, perfection, reasoning, contemplation, and stability... it addresses the minds with everything related to understanding and reasoning, and when the reader combines its oral and written levels, the mind is united with the heart and reasoning with emotion.

Keywords: The Holy Qur'an, speech, book, theory of the art of rhetorical Expression.

١. المقدّمة:

١-١. بيان المسألة:

تتميّز اللغات البشرية عن لغات الحيوانات الأخرى بخصائص عدّة، منها:

- أن اللغات البشرية اعتبارية وضعية تنتقل بالتعلم والاكتساب، وليست غريزية كلغة الحيوانات،
- وأنها خلاقة (creative) ومولّدة (productive) ومنسجمة (patterning)،
- وأنها ثنائية البنية (duality)، تتشكل من بنية اللفظ وبنية المعنى.

وقد كانت تعرّف اللغات البشرية في تاريخ الأبحاث اللغوية حتى نهايات القرن التاسع عشر بأنها "أداة للتواصل بين أبناء البشر". لكن المدارس اللسانية الجديدة ذهبت إلى أنها ليست مجرّد أداة للتواصل، بل إنها الفكر نفسها، إذ لايمكن الإنسان أن يفكّر بدون لغة. وقد سمّوا عملية التفكير في داخل الإنسان باللغة الصامتة، وهي ما كان يسمى بحديث النفس سابقا (monolog) مقابل اللغة الناطقة (dialog) .

وقد عاش النوع الإنساني على كرة الأرض منذ ستة ملايين سنة، ولم يكن في معظم هذا التاريخ الطويل يمتلك لغة بشرية مؤلفة من كلمات وعبارات وجمل، بل كان يستعين للتواصل مع الآخرين بالأصوات الطبيعية التي يتلفظ بها. لكنه منذ حوالي ميليون سنة أدرك تدريجيا أنه يستطيع أن يتفق مع أفراد أسرته وعشيرته أن يسمّي الأشياء بأسماء وضعية اصطلاحية، وهكذا ظهرت اللغات البشرية التي كانت بسيطة ساذجة في بداية أمرها وأخذت تتطور بشكل بطيء جدا إلى أن تطورت بتطوّر الحضارات البشرية في عشرة آلاف سنة إلى زماننا هذا.

مما لا شك فيه أنَّ اللغات البدائية كانت شفهية تتم بنطق الألفاظ من مخارج الحروف، لكنها أخيرا وقبل ستة آلاف سنة عرف كيف يضع لكلامه اللفظي المنطوق في صور

كتبية، فخلق أولا خطوطا لنقش الرسائل اللغوية على جدران الغابات ثم على الألواح الحجرية والخشبية بما يسمّى بالخطوط التصويرية، باستخدام صور الأشياء الطبيعية كرموز لها. إلى أن استطاع منذ حوالي أربعة آلاف سنة أن يبدع خطوطا أبجدية بحروف كلّ منها يعبّر عن الصوت الخاص الذي ينطقه عند تسمية الكلمات. وهكذا برزت أنواع الخطوط الكتبية إلى جانب اللغات البشرية.

يعالج هذا البحث أثر اللغات الشفهية (الكلام) واللغات الكتبية (الكتاب) على المتلقّي، ودور كل منهما في نقل الرسائل اللغوية بين المجتمعات البشرية، لينتقل إلى الموضوع الرئيس، وهو التعرّف على كون القرآن الكريم كلاما وكتابا بشكل يميّزه عن سائر الكتب السماوية.

١-٢. أسئلة البحث:

نحاول أن نجيب عن الأسئلة الآتية في هذا البحث:

١. ما أسباب نزوع العلماء المسلمين إلى تفضيل الكتاب على الكلام؟
٢. ما أسباب نزوع اللسانيين الجدد إلى تفضيل الكلام على الكتاب؟
٣. لماذا عرّف القرآن الكريم نفسه بالكلام والكتاب في نفس الوقت؟
٤. ما نتائج نظرية فنّ البيان البلاغية في التعامل مع القرآن الكريم كلاماً وكتاباً؟

١-٣. منهج البحث

يطبّق هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي لدراسة الفروق بين اللغتين الشفهية والكتبية، ثمّ تحليل آثار كون القرآن الكريم كتابا وكلاما على تفسير هذا النصّ السماويّ المخلّد.

١-٤. سابقة البحث

- **في ما يتعلّق بثنائية الكلام/الكتاب في الفلسفة الإسلامية، يجب ذكر كتاب "أسرار الآيات وأنوار البيّنات" لصدر المتألهين الشيرازي، حيث درس هذه الثنائية من منظور فلسفي في القاعدة الخامسة من قواعده حسب مدرسته الفكرية التي سماها: "الحكمة المتعالية".**

- الباحث محسن پيرهادي وزميله نشرا بحثا بالفارسية بعنوان: دراسة في كلام الله وكتابه من منظور الحكمة الصدرائية، في مجلة الفلسفة العدد ٢٢ سنة ١٣٩٣هـ.ش، توصّلا فيه إلى أن الكلام يطلق على كل ما يخرج الباطن في النفس إلى الظهور، ولذلك اعتبر الله النبي عيسى (ع) كلمة منه، ونحن نعتبر الأئمة المعصومين (ع) كلمات الله التامات. وإذا كان لفظ القرآن يعتبر كلام الله، فلأنه أيضا يؤدي إلى إظهار مكنون العلم عند الله تعالى. كما توصّلا إلى أن لكلّ من كتاب الله وكلامه ثلاث مراتب: الأولى عالم الأمر والثاني عالم الخلق والثالث الكلام أو الكتاب النازل المسجلّ في بين دفتي المصحف الشريف.

- عالج ابن جني في كتابه الشهير "الخصائص" اللغة، وقدمّ فيه تعريفه الشهير عن اللغة بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". مما يفيد أن اللغة عنده نظام صوتي شفهي بذاته.

- بحث محمود فهمي حجازي في كتابه "علم اللغة العربية" عن طبيعة اللغة وأنها هي نظام صوتي أولاً وبالذات، ثم يترجم وينقل إلى النظام الكتبي.

وقد كثرت الدراسات اللسانية عن الفروق بين اللغتين الشفهية والكتبية واختلافهما في نقل الرسائل اللغوية عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة. لكنّ هذا البحث جديد بينها بتحديد ثلاث مستويات للقرآن الكريم في هذا الإطار.

٢. ثنائية الكلام/الكتاب في الكتب السماوية الإلهية

يتفرّد القرآن الكريم بين مختلف الكتب السماوية بعدّة أمور، منها:

– أن الكتب السماوية (كألواح نوح، وصحف إبراهيم، وزبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وقرآن النبي محمد (ص) كلها من مصاديق الفرقان، لأنها جميعا نزلت لتفرّق بين الحقّ والباطل وقد وصف القرآن التوراة بالفرقان بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ البقرة:٥٣، لكن كتاب النبي محمد (ص) فرقان وقرآن في نفس الوقت، وهو القرآن فقط، لأن القرآن بمعنى الجمع: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ القيامة:١٧. والقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي جمع جميع الحقائق في آياته: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ الأنعام:٥٩.

– وأن كل كتاب سماوي نُسخ بكتاب لاحق ماعدا القرآن الكريم، وهو غير قابل للنسخ.

– وأن أيا من الكتب السماوية الأخرى لم تعتبر معجزة لنبيه فكانت معجزة النبي موسى فلق البحر مثلا ولا التوراة، ومعجزة النبي عيسى إحياء الموتى ولا الإنجيل ولذلك لم تشمل التحدّي. لكن القرآن الكريم كان معجزة النبي الأكرم الخالدة وكان مقرونا بالتحدّي.

– وأخيرا: الكتب السماوية الأخرى كانت مصاديق من كتاب الله: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ البقرة:٢٨٥. ولم تكن مصاديق من كلامه تعالى. فالقرآن الكريم

هو الوحيد الذي يكون كتابا وكلاما في آن واحد. أما كونه كتابا فقد ذكر في عدد كبير من الآيات منها: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ الواقعة:٧٧-٧٩. وأما كونه كلاما فقد ذكر في آيات أخرى نحو: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة:٤٠ أو الآيات التي تطلب من النبي محمد (ص) أن يقول شيئا: ﴿قل هو الله أحد﴾. التوحيد:١. وقد خصّ هذا البحث بدراسة هذه الثنائية المختصة بالقرآن الكريم ودلالاتها التفسيرية.

٣. ثنائية الكلام/الكتاب في الفلسفة الإسلامية

خصّ المرحوم صدرالدين الشيرازي القاعدة الخامسة من كتابه: "أسرار الآيات وأنوار البيّنات" بالتفريق بين كلام الله وكتابه، يقول فيها: "الفرق بين كلامه تعالى و كتابه، كالفرق بين البسيط و المركب كما مر. و قد قيل: إن الكلام من عالم الأمر، و الكتاب من عالم الخلق، و إن الكلام إذا تشخص صار كتابا، كما أن الأمر إذا تشخص صار فعلا، كما قال ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾الطلاق:١٢. و قوله: ﴿إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾ يس:٨٢. فالفرق بين الكلام و الكتاب بوجه، كالفرق بين الأمر والفعل، فالفعل زماني متجدد كما ستعلم، و الأمر بريء عن التغير و التجدد، و الكلام غير قابل للنسخ و التبديل، بخلاف الكتاب: ﴿يَمْحُو اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ، وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ﴾ الرعد:٣٩. (الشيرازي ، 1360هـ.ش(16 ،

إذن، يعتبر الكلام والكتاب في فلسفة الحكمة المتعالية صفحتين لورقة واحدة. فالكلام ينم عن الوجوب والمبدأ الفاعلي، لكن الكتاب ينم عن الإمكان والمبدأ القابلي. وكلاهما علامتان وآيتان لصاحبهما. (پيرهادى. ١٣٩٣ هـ.ش).

تنظر هذه الرؤية الفلسفية إلى الكلام والكتاب باعتبارهما من مراتب الوجود العينية في نظام الخلق بالتدبّر في مداليل كلمتي الكلام و الكتاب وما ينطوى عليه من معان تفوق دائرة اللغات البشرية المحكية والمكتوبة. يبتعد هذا الرأي الفلسفي عن أجواء البحث عن اللغتين الشفهية والكتبية كمظهرين من مظاهر اللغات البشرية، وينقل الموضوع من دائرة اللغات الوضعية الاعتبارية إلى مراتب العالم الحقيقية من الأمر(ماوراء الطبيعة) إلى الخلق (الطبيعة). ورغم هذا الابتعاد، يفيدنا بحثه في أنه يقدّم الكلام على الكتاب إذ إن الأمر مقدّم على الخلق في قوس النزول. أما تقديم الخلق على الأمر في الآية الكريمة: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ الأعراف:٥٤ فهو يشير إلى قوس الصعود.

أما في دائرة اللغات البشرية فنتابع البحث عنها في العناوين التالية.

٤. ثنائية الكلام/الكتاب في اللسانيات العربية

تظهر هذه الثنائية في تعاريف العلماء المسلمين عن اللغة وطبيعتها، ونجد فيها تفضيل اللغة الشفهية على اللغة الكتبية، منها ما يلي:

- "يعد تعريف اللغة عند "ابن جني" المتوفى ٣٩١هـ من التعريفات الدقيقة إلى حد بعيد. قال ابن جني: حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم (ابن جني ،2008، ٣٣).وهذا تعريف دقيق يذكر كثيرًا من الجوانب المميزة للغة. أكد ابن جني أولا الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وذكر أيضا أنها تستخدم في مجتمع فلكل قوم لغتهم.

- أما ابن خلدون فقد عرّف اللغة : "أنها في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئة عن القصد لإفادة الكلام فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم. (ابن

خلدون1410،هـ.ق،١٢٥). واللغة ملكة في اللسان، وكذا الخط صناعة ملكتها في اليد "المقدمة. (نفس المصدر، ١٢٥٢).

– يقول "محمود فهمى حجازى" في كتاب علم اللغة العربية: "إن طبيعة اللغة تتخذ في المقام الأول صورة صوتية منطوقة مسموعة. فالكتابة في أحسن أحوالها محاولة للتعبير عن اللغة في واقعها الصوتي. وهذه المحاولة دقيقة أحيانًا وغير دقيقة في أكثر الأحيان. والكتابة محاولة لنقل الظاهرة الصوتية السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية، فاللغة تسمع بالأذن والكتابة ترى بالعين، الكتابة محاولة لترجمة الظاهرة الصوتية السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية، والكتابة محاولة لنقل اللغة من بعدها الزمني إلى البعد المكاني، فالظواهر الصوتية تتتابع في الزمن والحروف المكتوبة تتتابع في المكان. وإذا كانت اللغة في المقام الأول ظاهرة صوتية فمن الطبيعي أن يقوم البحث اللغوي بدراسة اللغة في صورتها الصوتية.وعلينا أن نميز دائمًا بين الطبيعة الصوتية للغة وكيفية تدوين هذه الأصوات". (فهمي حجازي.د.ت)

وتؤكد كل هذه التعريفات الطبيعة الصوتية الشفهية (الكلام) للغة وكونها أصلا واعتبار البعد الكتبي (الكتاب) فرعا له. هذا على مستوى التنظير، ولكن على مستوى التطبيق نجد في اهتمامات اللغويين العرب سيرا معاكسا بتفضيل اللغة الكتبية على الشفهية!. فبالرغم من تأكيد علماء صدر الإسلام على أهمية اللغة الشفهية، من أمثال سيبويه الذي صرّح مرارا في الكتاب بقوله: "سمعناها من العرب ممن يوثق بعروبتهم..." لاننسى أن سيبويه نفسه خسر معركة علمية بحثية اشتهرت بالقصة الزنبورية بفضل استشهاد الكسائي بعربي بدويّ نطق تلك العبارة بما كان يعتبره سيبويه خطأ .

مما ورد في الفصل بين القراءة والكتابة قول عبدالعظيم: "أنهما وجهان لفعل واحد، يصعب فصل أحدهما عن الآخر، وآية ذلك أنّ الأثر عندما يُكتب يحيا حياة تقديرية قبل النشر. وأما النشر فهو خروج بالأثر الأدبي إلى القرّاء، وهنا تبدأ حياة الأعمال الأدبية، حيث تُقطع صلتها بكاتبها، لتبدأ رحلتها مع القرّاء، وبذلك يصبح الأثر الأدبي (بعد النشر) موجوداً بالفعل. لكنّ القراءة لا تتم إلا مع الكتابة. إنّها فعل مستحدث يستحدثه النصّ المكتوب. وللنصّ قطبان: فنّي أبدعه المؤلف، وجمالي ينجزه القارئ. وأمام القارئ فرصة لاكتشاف فراغات النصّ وشقوقه وبياضاته، بعد أن ينغمس في عملية الإبداع له (عبد العظيم، ١٩٩٢: ٢٣٨).

إلا أن مسار الاهتمامات انحازت شيئا فشيئا إلى تفضيل اللغة الكتبية، فنجد أن البلاغة التقليدية ركّزت في أبحاثها على اللغة الكتبية، وأسندت مواضيعها إلى أمثلة وشواهد منها، ولم تولِ اهتماما إلى اللغة الشفهية. ربما بحجة أن العربية الشفهية تتوزع على لهجات مختلفة من جانب، والعربية الكتبية لغة موحّدة يمكنها لمّ شمل العرب في خانة القرآن الكريم. وقد وصلت هذه النزعة إلى درجة اعتبر بعض أنصار اللغة الكتبية الاهتمام باللغة الشفهية مؤامرة من أعداء الإسلام والأمة الإسلامية لتمزيق وحدة الأمة! ودعوا إلى نبذ العامية (الشفهية) لحساب الفصيحة (الكتبية)، وربما نسوا أن القرآن المقدّس ساوا بين البعدين الكتبي والشفهي بتعريف نفسه بالكلام مرة والكتاب مرة أخرى، وفتح النبي الأكرم (ص) مجال التنوع الشفهي واللهجي في قراءة القرآن الكريم مما أدى إلى ظهور القراءات السبعة الشهيرة وبعض القراءات الشاذة الأخرى.

٥. ثنائية الكلام/الكتاب في اللسانيات الجديدة

٥-١. مظاهر التفريق بين الكلام والكتاب في اللسانيات الجديدة:

هذه الثنائية تظهر في مواضع مختلفة من دراسات المدارس اللسانية الحديثة:

٥-١-١. في تعريف اللغة:

ثمّة تعاريف جديدة عن اللغة تصرّح بنزوع أصحابها إلى تأصيل اللغة الشفهية وتفريع اللغة الكتبية:

- يعرّف "كارول" اللغة على النحو التالي: أية لغة من اللغات هي نظام بنيوي Structural System من الأصوات العرفية المنطوقة arbitrary vocal sounds ومن تتابعات الأصوات sequences of sounds التي تستخدم أو التي يمكن أن تستخدم في التعامل بين الأفراد interpresonal communication عند مجموعة من البشر، ويصنف الأشياء والأحداث والعمليات التي تتم في البيئة الإنسانية(https://shamela.ws/book/11299/6)

- لا يوجد شيء باسم «اللغة المكتوبة». الذي يوجد هو التكلم والكتابة. والأساسي منهما هو «اللغة الشفهية». واللغة الكتبية صورة عن اللغة الشفهية. تغير اللغة الكتبية لا يعني تحول اللغة (هال.١٣٦٣هـ.ش).

٥-١-٢. في علم الأصوات اللغوية(Phonology)

الموضع الثاني من مواضع دراسة ثنائية الكلام في الدراسات اللسانية الجديدة يقع في حقل اللسانيات الصوتية، إذ إن المستوى الصوتي في اللغة تخصّ اللغة الشفهية (الكلام)، وهذا المستوى يقع في صدر المهارات اللغوية الأربع، التي تبدأ عند الغربيين بمهارتي الاستماع والمحادثة، وهما مقدّمتان على مهارتي: القراءة والكتابة المرتبطتين باللغة الكتبية. والبدء بمهارات اللغة الشفهية كفيل بأنهم يعتبرون الكلام هو الأصل في النظام اللغوي ويتفرّع عليه الكتاب واللغة الكتبية.

٥-١-٣. في التفريق بين النص (Text) والخطاب (Discourse)

إن النصّ حسب غريماس وكورتاس يرتبط بالكتابي (التشكيلي)، والخطاب يرتبط بالشفوي (الصوتي). هذه الفكرة تجدها ماثلة بوضوح في الفكر العربي حيث ارتبط مفهوم الخطابة بالتواصل الشفويّ المباشر واقترن الكتابيّ بالتدوين والتقييد.

وقد سوّى محمد عابد الجابري بين الخطاب والنصّ، وجعل منهما مفهوماً واحداً: النصّ رسالة من الكاتب إلى القارئ فهو خطاب. أما فان دايك فإنه يميّز تمييزاً دقيقاً بين النصّ والخطاب، إذ إن الخطاب هو عملية الإنتاج الشفوية ونتيجتها الملموسة. أما النص فهو مجموع البنيات الآلية التي تحكم هذا الخطاب. (خمري. ٢٠٠٧: ٦٠)

٥-١-٣-١. الخطاب؛ تطوّراته مفهوماً وتاريخاً

للنظر في مفهوم الخطاب لغوياً، لابدّ أولاً من مراجعة المعاجم والقواميس العربية. والخطاب في الدراسات العربية بمفاهيمه الحديثة مصطلح وافد من الثقافة الغربية، ويحمل فيها دلالات متعدّدة بتعدّد الحقول التي يدخل فيها. يرتبط مصطلح الخطاب في دلالاته الأولى بالمحادثة أو بالحديث الحواري، ولعل استحضار الآية القرآنية الكريمة:﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ الفرقان:٦٣. تبيّن في بنيتها اللغوية عن حديث حواري مكوّن من "خطاب" وردٍّ عليه. وهذه الدلالة لم تكن الوحيدة، فقد ورد الخطاب في مواطن أخرى من القرآن الكريم بدلالات أخرى، فقد وقف الفقهاء والمفسّرون عند الآية الكريمة ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ ص:٢٠، وقدّموا تفسيرات متعدّدة دارت معظمها على عناصر لغوية وفقهية، فقد ذهب بعضهم إلى الوقوف على الدلالة المتعلقة بالبنية اللغوية التي تحدّد المعنى، حين أشير إلى أن فصل الخطاب هو الكلام الواضح البيّن الذي لا يلتبس على السامع أو القارئ، كما يتعلّق بمكان الفصل والوصل في الخطاب، فلا يقرأ مثلاً الكلام مقطوعاً عن المعنى في قوله تعالى ﴿ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ النساء:٤٣.

وقد دارت معظم دلالات الخطاب في المعاجم العربية على هذه الدلالات كما نجد مثلا في لسان العرب:" الخطاب والمُخاطَبَة: مُراجَعَة الكَلامِ، وقد خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخطابا وهُما يَتخاطَبانِ.... قال بعض المفسرين في قوله تعالى: وفَصْلَ الخطاب هو أَن يَحْكُم بالبَيِّنة أَو اليَمِين؛ وقيل: معناه أَن يَفْصِلَ بينَ الحَقِّ والبَاطِل، ويُمَيِّزَ بيْن الحُكْمِ وضِدِّه. وقيلَ فصلُ الخطاب بمعني "أَمّا بَعْدُ"؛ وداودُ . عليه السلام . أَوَّلُ من قال: أَمَّا بَعْدُ. وقيل: فَصلُ الخطاب الفِقْهُ في القَضَاءِ.

ويرى التهانوي (ت١٢هـ) في" كشّافه أن الخطاب: "توجيه الكلام نحو الغيرِ للإفهام، ثمّ نُقل إلى الكلام الموجَّه نحو الغير للإفهام. وقد يعبّر عنه بما يقع به التخاطب. قال في الأحكام: الخطاب؛ اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه". (التهانوي.١٩٩٦، مادة الخطاب).

"لم يتطور مفهوم الخطاب في النقد العربي الحديث تطوراً طبيعياً يستند إلى ما هو بدأه النقاد القدامى، وإنّما حدث انقطاع في دلالة المفهوم حتى العصر الحديث، ولم يترجم النقاد العرب المحدثون Discourse الإنجليزية و Discourseالفرنسية بالخطاب إلا في السبعينيات من القرن الماضي". (الشاوش: ٢٠٠١:٧٧).

في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب يترجم الناقدان Discourse بالأطروحة والرسالة.(وهبه والمهندس،١٩٧٤:٤٧٧)، وهذه ترجمة بعيدة عن الدلالة الاصطلاحية والنقدية الحديثة. وفي معجم اللسانيات الحديث يترجم الباحثون Discourse بالحديث الكلامي(عياد، حسام الدين وجريس، ١٩٩٧:٤٠)، وهي ترجمة غير دقيقة. أما في معجم المصطلحات اللسانية فيترجم المؤلّف الكلمة Discourse بالخطاب.(الفاسي الفهري،٢٠٠٩:٨٢) وهذه ترجمة دقيقة.

لماذا هذا الاضطراب في ترجمة المفردة الواحدة؟ يجيب عن هذا السؤال مصطفى غلفان؛ وهو أستاذ بكلية الآداب عين الشرق في الدار البيضاء:

الف) إن اللسانيين العرب الذين لم يتمكّنوا بعد من الاتفاق على تسمية واحدة لمجال تخصصهم، لا يمكن أن ننتظر منهم الاتفاق على آلاف المصطلحات. فقد أحصى المسدي حوالي ٢٣ تسمية عربية كمقابل للفظة Linguistique، رغم أنه أغفل . في اعتقادنا . مقابلات أخرى مثل تسمية "اللسانية" التي استعملها عادل فاخوري،

ب) باستثناء . قلّة قليلة . فإن المعاجم العربية المتخصصة في اللسانيات . كتباً كانت أو ملحقات . ليست معاجم بالمعنى الدقيق، فهي لا تقدّم تعاريف محددة كما هو الشأن في المعاجم العادية، بل هي عبارة عن ثبوت بالمصطلحات الفنية أو لنقل إنها قوائم بالمصطلحات اللسانية فرنسية أو إنجليزية أو ألمانية مع مقابلاتها العربية".(غلفان:١٩٩٨: ٢)

٥-١-٣-٢. الخطاب اصطلاحاً

إذا تجاوزنا التحديد المعجمي إلى التحديد الاصطلاحي يتبيّن لنا أن مفهوم الخطاب غير واضح المعالم، لقد "أصبح مصطلح الخطاب متداولاً وشائعاً في مجموعة من الحقول: النظرية النقدية وعلم النفس واللسانيات والفلسفة وعلم النفس الاجتماعي وعدد من الحقول الأخرى، إلى حدّ أنه ترك مبهم مراراً، كما لو كان استعماله معرفة مألوفة وبسيطة. وقد استعمل الخطاب بصورة واسعة في تحليل النصوص الأدبية والنصوص غير الأدبية.(الزعبي،٢٠١٣:٣)

يطالعنا جابر أحمد عصفور في ترجمته لكتاب "عصر البنيوية" لإديث كريزويل بتحديد مهمّ بقوله: " يشير المصطلح إلى الطريقة التي تشكّل بها الجمل نظاماً متتابعاً تسهم في نسق كلّي متغاير ومتّحد الخواص، وعلى نحو يمكن معه أن تتآلف الجمل في خطاب بعينه لتشكّل نصاً مفرداً، أو تتآلف النصوص نفسها في نظام متتابع لتشكّل خطابا أوسع ينطوي على أكثر من نصّ مفرد. وقد يوصف الخطاب بأنه مجموعة دالّة من أشكال الأداء اللفظي تنتجها مجموعة من العلاقات، أو يوصف بأنه مساق من العلاقات المتعيّنة التي تستخدم لتحقيق أغراض متعينة"(عصفور: ١٩٨٥: ٢٦٩.٢٧٠).

ولكن نظرة إلى نقد المشارقة تكشف عن أن مفهوم الخطاب مفهوم غامض، ففي كتاب "أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة" يترجم نايف خرما الخطاب بالكلام المتصل. وأما ريمون طحان فإنه يترجمه بالكلام، ويقول في تحديده: "الكلام هو ما تركّب من مجموعة متناسقة من المفردات لها معني مفيد، والجملة هي الصورة اللفظية الصغرى أو الوحدة الكتابية الدنيا للقول أو الكلام الموضوع للفهم والإفهام. وهي تبيّن أن صورة ذهنية كانت قد تآلفت أجزاؤها في ذهن المتكلم الذي سعى في نقلها حسب قواعد معينة وأساليب شائعة إلى ذهن السامع، ولايكون الكلام تاماً إلا إذا روعيت فيها شروط خاصة تعود إلى المنطق، ومنها تعود إلى متطلّبات اللغة وقيودها" (طحان، ١٩٧٢:٤٤).

يتّضح من هذا التعريف الوقوف بالخطاب عند الجملة، وهذا ما تجاوزته اللسانيات الحديثة، إذ إنّ الخطاب لم يعد مجموعة من الكلمات تشكّل جملة، وإنّما مجموعة من الجمل تتّسق وتنسجم فيما بينها لتكوّن خطاباً.

والجدير بالذكر أن بعض اللغويين العرب أغفل مصطلح الخطاب أيضاً، وانتقل في دراسته من الجملة إلى النص دون المرور بالخطاب، مثل سعيد حسن بحيري في كتابه: علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، والأهمّ من ذلک أنه في متن الكتاب يشير إلى الخطاب وتحليل الخطاب ولكن ضمن ما أسماه بـ تجزئة النصّ أو التجزئة النحوية للنص.(بحيري: ١٩٩٧)، كما نجد من لا يساوي بين الخطاب والنص إلا أنه عند التطبيق يجعلهما مفهوماً واحداً. فصلاح فضل في كتابه: بلاغة الخطاب وعلم النص يتبع هذا المنهج، إلا أنه في موضع آخر من كتابه يوازي بين علم النص وتحليل الخطاب بقوله: "وقد استقرّ هذا المفهوم الحديث لعلم النصّ في عقد السبعينيات من هذا القرن، وهو يسمّى بالفرنسية Science de trxte أو يطلق عليه بالإنجليزية

Discourse analysis، ولايخرج الأمر عن هذين الحدّين في بقية اللغات الحيّة مما يجعل ترجمته إلى علم النص في العربية أمراً مقبولاً" (فضل، ١٩٩٢:٢٢٩).

إن صلاح فضل في كتابه المذكور وفي بقية كتبه يتعامل مع مفهومي "الخطاب" و "النص" كما لو كانا مفهوماً واحداً بحيث يصلح عنده استبدال أحدهما بالآخر.

وهذا الخلط بين مفهومي "الخطاب" و "النص" يقع فيه عدد غير قليل من النقّاد العرب المشارقة والمغاربة . على حد سواء . وإن كان المغاربة أكثر وعياً لحدود المفهوم، وأقل خلطاً بينه وبين المفاهيم المتاخمة.

أما إبراهيم خليل في كتابه: الأسلوبية ونظرية النص فإنه يقدّم مفهوم الخطاب أثناء حديثه عن نحو الجملة ونحو النص بقوله: "وتمخّضت هذه البحوث . التي اتخذت من أنظمة الحوار والمخاطبات مادةً للدرس عن ظهور نوع جديد من النظر الألسني، وهو الذي يعرف بتحليل الخطاب" (إبراهيم خليل،١٩٩٧:١٢٩).

إن النقّاد العرب توصّلوا إلى أن الخطاب "وحدة تواصليّة إبلاغية ناتجة عن مخاطِب موجهة إلى مخاطَب معيّن في مقام وسياق معيّنين، يدرس ضمن ما يسمّى الآن بـ الخِطاب.(إبرير، د.ت:٤١٤(كما توصّلوا إلى أن تحليل الخطاب هو "أحد مستويات الدرس اللغوي، يحاول تحليل الظاهرة اللغوية على مستوىً يتجاوز مستوى الجملة أو التفوّه يشتمل على النص المكتوب مهما بلغ طوله واختلف أنواعه، وعلى التخاطب الشفوي بين الناس بأشكاله المختلفة" (فارع والآخرون، ٢٠٠٠:١٩٩).

والملاحظ في هذا السياق عدم وجود دراسات لغويّة مستقلة تعنى بمفهوم الخطاب، وأنّ هذا المفهوم أدخله النقد الأدبي وليس اللغوي كما نشأ في مصادره الغربية، ولذا فإنّ الجهد اللغوي الغربي الحديث ينحصر في التعريفات ورسم الحدود العامّة، بالإضافة إلى

الترجمة لعدد من الكتب اللغوية التي اهتمّت بالخطاب تحليلاً وتحديداً، على الرغم من أن هذا المصطلح ومصدر نشوئه اللغة واللسانيات على وجه الخصوص.

ومع أن هذا المصطلح في مصادره الأجنبية يزيد استخدامه في اللغة واللسانيات على استعماله في الأدب، إلا أن الأمر معكوس في الدراسات العربية، إذ نجد أن الدراسات اللغوية التي تجلّي المفهوم وتوضّح أطره وأبعاده شحيحة، في الوقت الذي لاتكاد تخلو دراسة أدبية من استخدام لمصطلح "الخطاب"، بوعي لخلفياته النظرية أحياناً، وبجهل وخلط في أكثر الأحيان. ولعلّ ذلک يكمن في أن النقّاد الغربيين قد اهتمّوا كثيراً بهذا المصطلح منذ البداية وبسبل تطويره وتحديده، ولذا كانت جهودهم على الصعيد النظري مكثّفة فيما أخذ النقّاد العرب المحدثون المصطلح عنهم جاهزاً بواسطة الترجمة، وبنوا عليه دون مناقشته في كثير من الأحيان.(العتوم، ٢٠٠٤: ٧٤)

٥-١-٣-٣. أهداف تحليل الخطاب

١. من أهداف تحليل الخطاب معرفة مدى توفيق المخاطِب في تكليف المتلقي بعمل ما، أو معرفة آليّاته في سبيل توجيه المخاطَب لمصلحته من جهة، وإبعاده عن الضرر من جهة أخرى، وإدراک ميزان نجاح المخاطِب في توجيه المخاطَب لفعلٍ مستقبليّ معيّن.

٢. ومن أهدافه الأخرى كشف الرابط بين الملفوظات التي يتكوّن منها الخطاب، "وهذا الرابط متعدد الأنواع: موضوعي thematique مرجعي referentielle قضوي proportionnelle وحجاجي argumentative ...والمفهوم منه أن كلّ مجموعة من

الملافيظ يجمع بينها علاقة موضوعية مرجعية قضوية وحجاجية، إنما هي الخطاب" (الناجح، ٢٠٠٨:٢٧)

٣. ومن أهدافه الأخرى البحث عن الانسجام في الخطاب، باعتباره المقصد الأسنى من درس تحليل الخطاب، وكلّ نص له أربع قواعد نسمّيه النص المنسجم. والقواعد هي:

أ) قاعدة التكرار، ففي هذه القاعدة ينكشف الانسجام عند أخذ الكلام برقاب بعضه.

ب) قاعدة التطوّر، بمعنى أن الخطاب الملفوظ يحمل في تطوره دلالة جديدة، فلا يكرّر بعضه دون أن يتطوّر.

ج) قاعدة عدم التناقض، أن لا تكون في الخطاب "لحن" يخلّ بانسجامه وتماسكه.

د) قاعدة العلاقة، قوامها التركيز على جعل الخطاب . متى يكون منسجما . يحيل على العلاقات في الكون، بشرط أن تكون هذه العلاقات مترابطة متماسكة من قبيل ما يوفّره التركيب الشرطي والعلاقة السببية والتلازمية في الخطاب.

أما تحليل الخطاب وموضعه أمام النصوص . بعد هذا النقد الذي ذكرناه . فيمكن خلاصته بالتالي:

. دراسة اهتمام المخاطِب بالنظر إلى طبيعة المخاطَب في سبيل اختيار لغة الخطاب المناسبة له حتى يفهمها ويدركها ويتفاعل معها، ولا تتحقّق إلا بعد تطبيق الأصول على النص المنطوق أو المكتوب.

. إرساء هذه القاعدة بأن وضوح اللغة في الخطاب "يرفع من مستوى التواصل مع الأفراد المخاطبين، ومن القدرة على التفاعل معهم والتأثير عليهم وإحداث التغيير المنشود في سلوكهم وحياتهم، حتى إذا جنح الخطاب إلى الإبهام والخفاء والإلغاز في الألفاظ والتركيب والأسلوب كان هذا سبباً في تضييق دائرة الاتصال، وربما إلى إغلاقها بالكلية" (الكيلاني، ٢٠١٣)، وهذا التأصيل لا يتحقق إلا بمطابقة النصوص بعضها ببعض.

. من مهمّات تحليل الخطاب التي تتبيّن عند التطبيق الكشف عن الموادّ اللغوية غير المتجانسة في مفاهيمها ومناهجها بالخطاب.

. إذا نظرنا إلى منهج تحليل الخطاب عند فوكو ندرك أن الهدف من التحليل ليس تحليل نظام اللغة أو المضامين أو الدلالات، كما "لايهتمّ بصدق الخطابات أو معقوليتها، وإنما ينصبّ التحليل على المنطوقات كأحداث وعلى قوانين وجودها، وعلى ما يجعلها ممكنة أو غير ممكنة" (بغورة، ٢٠٠٠: ١٠٩)، وهذا ضروري في ساحة التطبيق.

. بما "أن الخطاب يمثّل رمزاً مشتركاً بين المرسِل والمتلقي، مما ينبئ عن علم كلّ منهما بالأنماط اللغوية المستخدمة"فتحليل الخطاب يدرس تحقّق الهدف التواصلي بين طرفي الخطاب، أي المخاطِب والمخاطَب، ويبيّن أيضاً بعض الخصائص النفسية والاجتماعية والثقافية التي تتراوح بين المخاطبين.

لقد أشار رائد عكاشة في محاضرته إلى نكتة ضرورية تفيدنا الفهم الدقيق عن ماهية التواصل أو الفعل التواصلي في مجال اللغة وهي: "على الرغم من أهمّية وظيفة التواصل وحيويّتها وضرورتها، إلا أنها لا تمنح اللغة خصوصية؛...فالتواصل لا يأخذ دوره الفعلي والجوهري، إلا إذا تعالق مع الفكر، ليشكّلا هوية واضحة قادرة على تحقيق الانسجام بين الماضي والحاضر والمستقبل. ولعل الاقتصار على دور اللغة في التوصيل . بمعناه البسيط . أدّى إلى خلل واضح في فهم مقصدية اللغة، وعدّها أداة لتوصيل المعنى فحسب، غاضين الطرف عن الأخطاء والركاكة؛ إذ لا يؤثر هذا في وصول المعنى واستيعابه"(عكاشة:٢٠١٣). نجد في هذا الخطاب بياناً طريفاً يشير إلى أهمّية الفكر ودوره المؤثّر في تشكيل الخطاب الفعال، فتأليف التواصل بين المخاطبين بدون أي دعامة فكرية لاينتهى إلي التأثير في المتلقي.

٥-١-٣-٤. مشاكلات أو اختلافات بين الأسلوبية وتحليل الخطاب

"الأسلوبية علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب، ولكنها . أيضاً . علم يدرس الخطاب موزعاً على مبدأ هوية الأجناس. ولذا، كان موضوع هذا العلم متعدد المستويات، مختلف المشارب والاهتمامات، متنوع الأهداف والاتجاهات. (عياشي، ٢٠٠٢: ٢٧)

من الممكن بواسطة الأسلوبية تقديم أساس علمي للناقد الأدبي أن يبني عليه درسه لنتاج أديب ما أو جماعة من الأدباء أو لنتاج عصر أدبي خاص، أو قد يرصد التطورات التاريخية لنوع أدبي في خلال عصور مختلفة، وهذا ما نراه في تحليل الخطاب أيضا بشكل آخر إذ إن "الخطاب لايتعامل إلا بالمظهر اللغوي أو بالوحدات المشكّلة من اللغة في النص دون أن يتجاوزها إلى ما وراءها..."(صلاح فضل،١٩٩٢:٢٩٤)

ولتحليل الخطاب وتحديده علينا أن نحدّد الاتجاه الذي ينتمي إليه الأديب والمجال الذي يشتغل فيه مثلما ترصده الأسلوبية في دراستها لنتاج الأدباء. وهذا ما نراه في كلام سعيد يقطين حيث يقول:"لتحديد الخطاب وتحليله . التحديد والتحليل المقبولين . علينا أن نحدّد الاتجاه الذي ننتمي إليه، والمجال الذي نشتغل فيه وفق أسئلة إبستمولوجية محدّدة نجيب من خلالها عن هذه الأسئلة: لماذا هذا التعريف؟ ما هي الأدوات والإجراءات المناسبة؟ إلى ماذا نبغي الوصول؟ وكيف؟" (يقطين، ١٩٩٧:٢٦)

إن مسألة التزامن في دراسة الأساليب مهمة، وهذا معناه أننا لن نحصر مباحثنا في الحاضر وحده، بل إنها لتمتد إلى أبعاد زمنية ذات ثقافة وفكرٍ مختلف عن ثقافتنا وفكرنا. ومن الواجب أن نعرض لهذه الأساليب بعقليّة معاصرة لزمنها. يمكننا أن نعتبر هذه الميزة جارية في تحليل الخطاب أيضاً.

والمشاكلة الأخرى أنّ اللغة بوسعها أن تستعين بعدد محدود من الوسائل لتنتج عدداً لا يتناهى من الاستعمالات. وهذه الاستعمالات هي التي تركّز عليها الأسلوبية، والسؤال

عن علة انتخاب الاستعمال الخاص من بين الاستعمالات هو الذي يركز عليه تحليل الخطاب، باعتبار أن الكلام الأدبي مجموعة من الجمل، لها وحدتها المميّزة، ولها قواعدها ونحوها ودلالتها. ومعنى ذلك أن دراسة الخطاب هي دراسة لكل مظاهر الاستعمال اللغوي وتمييز الاستعمال الخاص من بينها. والأسلوبيون يتعاملون مع الجملة كتعاملهم مع النص بأكمله لأنها قابلة للوصف على مستوياتها المتعددة صوتية وتركيبية ودلالية.

ثمّ إنّ أموراً خارج النص تساعد في فهمه، فالإحاطة بتلك الأمور الخارجية إحدى المجاري للنفوذ في النصوص، وهذا ما نراه في قضية تحليل الخطاب؛ عندما ندرس التأثير المتقابل بين الخطاب و بين الظروف الاجتماعية، والمعرفة بتلك الظروف ترشدنا إلى جواب هذا السؤال: لماذا اختار الأديب هذا الخطاب الخاص مع أنه قادر على انتخاب خطابات أخرى؟

والنكتة الأخيرة في هذا الصدد هي: " أن علم اللغة يمكن أن يقدم وحده أساساً حقيقياً للنقد الوصفي، فصار التحليل اللغوي Linguistic Analysis جزءاً طبيعياً من النقد"، وهذا يوجهنا إلي أن نتعرف علي ما يتّبعه علم اللغة في دراسة الأساليب، وتعدُّ لغة الخطاب أيضاً من المفردات الأساسية في الخطاب، ذلك أن اللغة هي الوسيلة التي من خلالها يتم تقديم الخطاب وتعريف الناس بمضامينه، وبيان حقائقه ومعانيه، والكشف عن قيمه وأفكاره الثاوية فيه، وهي قضية يجب أن نركّز عليها كثيرا وننبّه إليها باعتبارها شرطا أساسياً من شروط فاعلية الخطاب وتأثيره ومقوّما رئيساً من مقوّمات نجاح الخطاب وبلوغه لمقاصده وأهدافه. (درويش.١٩٩٨).

لنعلم أن للغة أبعاداً، منها البعد الوظيفي الذي يقتصر على مجرد الإعلام، أو الإبلاغ والذي نعتبره البعد الدلالي أيضاً، والبعد التعبيري الذي يرتبط بقدرة المتكلم في الإفصاح

عن مشاعره، والبعد التأثيري الذي يرتكز على من يوجه اليه الكلام لدفعه إلى فعل معين.

فنحن نجد الأسلوبية تتّجه إلى البعد التعبيري والبعد الوصفي للغة، أو بعبارة أخرى تُعنى بالجانب العاطفي في الظاهرة اللغوية، أو ما يسمّيه ج.كوهين بالانتهاك، خروجاً على النمط اللغوي العقلاني الخالص، وتحليل الخطاب يرتكز بالإجمال على البعد التأثري، مع أنه لا يغفل عن الأبعاد الأخرى.

"ولابد أن نعترف بأن البلاغة العربية التي بين أيدينا لم تعد تغطّي حاجات الأجناس الأدبية التي ينتجها الأدب العربي المعاصر كالشعر الحديث والقصة القصيرة والرواية والمسرحية...وإنه في غياب المعايير البلاغية الحديثة ينصرف النقاد وأشباه النقاد إلى قول ما يحلو لهم ولا يعجزون عن أن يزيّنوا كلامهم ببعض المصطلحات الغامضة القادمة من حقول بعيدة غريبة. وليس أمامنا من سبيل إلا محاولة تطوير "أسلوبية عربية"، وهي تستلزم بالضرورة تطوير فروع أخرى كثيرة من فروع الدراسات اللغوية والأدبية، وإجراء دراسات وصفية متأنية على لغة الأدب المعاصر، والاستفادة أيضاً من تجارب التراث البلاغية، بعد إعادة قراءتها ومحاولة ترشيد فهمها من جديد"(درويش،١٩٩٨: ٩).

ونحن على موقف إيجابي أمام رأي أحمد درويش حيث يقول: لا سبيل لنا إلا تطوير فروع الدراسات اللغوية والأدبية. فلقد أشار إلى أسلوبية عربية كمثال لكلامه، ونشير نحن إلى تحليل خطاب عربي يحمل معه دلالات تنبع من الذات العربية، ولا يُغرس فيها من الخارج.

هذه مقتطفات من عناية اللسانيين الجدد بضرورة التفريق بين النص الكتبي والخطاب الشفهي. ولننتقل إلى نظرية فنّ البيان البلاغية لنرى كيف تنظر إلى هذه الثنائية المعقّدة.

٦. "نظرية فنّ البيان البلاغية" وثنائية الكلام/الكتاب:

إن نظريتي المعنونة بنظرية فن البيان البلاغية خضعت لمراحل مختلفة من التحكيم على المستوى الوطني في إيران وبإشراف من المجلس الأعلى للثورة الثقافية – وهي أعلى مرجع رسمي في تسجيل النظريات العلمية الجديدة في العلوم الإنسانية – ونالت قبول هذا المجلس وتم تسجيلها باسمي رسميا باعتبارها أول نظرية علمية مسجلة من أقسام اللغة العربية وآدابها في الجامعات الإيرانية .

في إطار هدا البحث، تهتم هذه النظرية بالتفريق بين اللغتين الشفهية والكتبية. توضيح هذا أن نظرية فنّ البيان البلاغية تبنّت ثلاثة محاور:

- الأصول (وهي سبعة أصول كونية عالمية استلهمنا منها في تأسيس بلاغة جديدة تثبت أن جماليات النص الأدبي مستقاة من جماليات نظام الخلق)
- القواعد (وهي سبع قاعدة تبنيناها لتتزوّد البلاغة بالمناهل المعرفية العلمية والأدبية الحديثة وتتابع مسيرتها الاستكمالية بالتحديث الدائم والمستمر والخروج من الشرنقة المزمنة التي تعاني منها)
- الأبواب (وهي بابان: جمال الألفاظ وكمال المعاني، وهما بديلان عن ثلاثية المعاني والبيان والبديع في بلاغة السكاكي)

في قسم القواعد، القاعدة السادسة هي ما سمّيناها (المظاهر) وتشمل مظهرين من مظاهر اللغة والأدب، هما المظهر الشفهي والمظهر الكتبي. وترى لكل منهما قيماً أدبية وجمالية خاصة، وتنطلق من القاعدة القرآنية في التفريق بين كلام الله (القرآن الشفهي) وكتاب الله (القرآن الكتبي)، إذ تعتبر هذا التفريق مصدرا للكشف عن جماليات أدبية غفلت عنها البلاغة التقليدية، وخاصة في تفسير القرآن الكريم.

٦-١. ثنائية الكلام/الكتاب بشكل عامّ:

ثمّة فارق كبير بين الكلام الشفهي الذي يخرج من فم الإنسان وينطلق إلى الهواء، ثم يتلقّاه المستمع بسماعه أو الاستماع إليه، وبين الكتاب الذي يكتبه الكاتب ويضعه أمام القارئ ليقرأه ويتواصل مع المؤلف.

والسبب في ضرورة التفريق بين جماليات اللغة الشفهية وجماليات اللغة الكتبية هو أنّ: اللغة الشفهية تخرج من فم المتكلم لتعبر من أمواج الأثير، وتصل إلى سامعة المتلقي، فهي بالضرورة مركبّة من ألفاظ ومفردات تخرج واحدةً تلو أخرى، وتصل إلى المستمع واحدةً تلو أخرى، ولذلك تُعتبر "حديثاً"، أي تَحدُث في لحظات الزمن. والنصّ الشفهي مجموعة كلماتٍ غير قارّةٍ تقع في ترتيب زمنيّ لايمكن المستمع أن يتلقّاها مجتمعة، كما لايمكنه أن يعيدها ويسمعها مرة أخرى، لأنّها تفنى في أمواج الهواء، أو تنتقل ولاتبقى في أذني المخاطب. لذلك، المتلقّي هنا أمام ظاهرةٍ متحركة في عملية زوال وحدوث مستمر. فالمتكلم والمخاطب كلاهما يعاملان الخطاب الشفهي معاملة حقيقة متحرّكة بالذات، غير مستقرّة ولو لثواني معدودة. فالخطاب الشفهي بذاته صورة عن الحركة والحدوث والحيوية والنشاط. ولهذا السبب نعتبره أصل اللغة والكلام.

أما اللغة الكتبية فتتثبّت على الورق، وتبقى ثابتةً باختيار القارئ، يقرأها لا فقط عند كتابتها بيد الكاتب، بل كلّما أراد أن يقرأها. وقد يقرأها مراراً ومراراً، لأنّها لاتضيع في الهواء كاللغة الشفهية. ثمّ إنّها بطبيعتها ظاهرة قارّة مستقرّة تجتمع فيها الكلمات والمفردات، وللقارئ أن ينظر إلى هذه الكلمات من آخر النصّ إلى أوّله، وتقدُّم صدرِ الجملة على ذيلها ليست ضرورةً. والانطباع الحاصل للغة الكتبية عند الكاتب والقارئ هو أنّها صورة مستقرّة ثابتة غير متغيرة. فلاتعكس واقع الحياة والكون المادي المتغير

في كل لحظات الحياة. ثم إنّ هذه الصورة الكتبية لها جانب سلبي نظراً لجمودها وعدم حيويتها، وجانبٍ إيجابي عبر ثباتها، حيث تُمكّن القارئ من تجديد قرائتها مراراً.

خلاصة القول؛ أنّ الكلام الشفهي يصدر من المتكلم كلمة تلو أخرى، ولاتبقى الكلمات مجتمعة، فهو أمر غير قارّ من الناحية الفلسفية. لكن الكتاب قارّ وتستقرّ كلماته في ترتيب خطي. لذلك يوجّه الكلام مستمعه إلى سريان الزمن في لحظات الاستماع، ويؤدي إلى استدراك قاعدة التغيير. بالعكس منه يوجّه الكتاب قارئه إلى تجاوز الزمن، وحتى قلب الحركة الزمنية، حيث يستطيع القارئ أن يرجع إلى الوراء في كل لحظات القراءة، ويؤدي هذا إلى استدراك قاعدة الثبات.

لذلك، علينا أن نلاحظ خصوصيّة النصّ، وندرک أنّه إذا كان شفهياً، فيجب أن ندرسه ونحلّله بحقيقته المتغيرة، وإذا كان كتبياً، فيجب تحليله تحليلاً منسجماً مع انطباع المتلقي واعتباره أمراً ثابتاً. (وهذا إضافةً على فوارق أخرى بين اللغتين الكتبية والشفهية والملحوظة في كتب اللسانيات).

تبعا لهذا الفارق، يتمحور الكلام (اللغة الشفهية) على العلاقات الاستبدالية ((**Paradigmatic** بين الكلمات التي تتعاقب لتشكيل الجملة والنصّ (الخطاب). لكنّ الكتاب (اللغة الكتبية) يتمحور على العلاقات التركيبية التتابعية(**Syntagmatic)** بين الكلمات التي تجتمع في ساحة النصّ. وهذا يعني أن تقسيم اللغة إلى الكتبية والشفهية نابع من الأصلين الأول والثاني من أصول فنّ البيان (التجميع والتفريق(

ثمّ إن حضور المتكلم في الكلام الشفهي يَضمّ إلى الدلالات الكلامية حركاتِ بدنه أيضا، لتُسعف تلک الدلالات بمشاعر المتكلم الذي يكون حاضراً، وبالتالي يسيطر على كلامه وما يريده من المستمع أن يفهم منه. لكن في الكتاب يغيب الكاتب عن فضاء القارئ، وهذا يسمح له بتفسير وفهم دلالات قد لم يقصدها الكاتب: "الكتابة

بفضل ديمومتها تقترح دلالات متجدّدة، والتي تخضع في حالة التواصل الشفوي لمحدّدات ظرفية وسياق محدود". (خمري. ٢٠٠٧. ٣١٣).

لا شكّ أن هذه الخلافات لاتبقى في دائرة اللغة، بل تتعدّى إلى الدلالات البلاغية والجمالية أيضاً.

من جانب آخر، تحدّث البلاغيون الجدد عن الجدلية بين القراءة والكتابة. يرى تودوروف أنّ للكتابة معنيين؛ فهي تعني وفق المعنى الضيق لكلمة الكتابة: النظام المنقوش للغة المدوّنة. أما في معناها العام، فهي كلّ نظام مكاني ودلالي مرئيّ. ويذهب جوناثان كلر (Jonathan Culler) إلى أن الكتابة تقدّم اللغة بوصفها سلسلة من المرئيات التي تعمل في غياب المتكلم. (مجموعة من المؤلفين، ١٩٩٠: ١٢٣)

والذي نقصده بالقارئ هنا ليس قارئاً بسيطاً أو عادياً أو مستهلِكاً، بل قارئ عليم (Informed Reader). إنه قارئ يبحث عمّا لم يقله النصّ صراحة، يفكّ الرموز المتناثرة في ثنايا النصّ أو الخطاب، كي لا يقع في الفخ الذي يتمثّل في فرض معنى واحد عليه. وإذا كانت الكتابة فعلاً إبداعياً خلاقاً، فإنّ القراءة أيضاً فعل خلاق يوازي إبداع النص أو يتفوّق عليه أو يهبط عنه على وفق ثقافة القارئ. (قطّوس، ٢٠٠٤: ١٧٦)

٦-٢. ثنائية الكلام/الكتاب في القرآن الكريم:

يُعرّف القرآن نفسه أحياناً كلاماً أو قولاً نزل من عند الله تعالى إلى قلب النبي الأكرم بلسان عربي مبين، وهو ما يجعل العلاقة بين الله ونبيّه علاقة متكلم بمستمع، ثم يقرأه النبي على المسلمين، ويطلب منهم الاستماع لقوله تعالى ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلّكم ترحمون﴾ الأعراف: ٢٠٤.

كما يعرّف نفسه أحياناً أخرى كتاباً، وحينئذ يكون العلاقة بينهما علاقة كاتب بقارئ، بقوله: ﴿إنّه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسّه إلا المطهّرون﴾ الواقعة: ٧٧-٧٩، لايشك هذا الباحث أنّ فهم القرآن أو آية واحدة منه يختلف بين ما إذا تدبّرنا فيها بحكمها كلاماً أو كتاباً، بحكم أنّ الكلام والكتاب ظاهرتان مختلفتان تُرسلان دلالاتٍ مختلفة. ولكن، ثمّة موضوع آخر، وهو أن النصّ الواحد ممكن أن يحظى بكلّ الجوانب الإيجابية للنص الشفهي والكتبي في آنٍ واحد. وخير مثال على هذا: القرآن الكريم الذي جمع بين كونه كلاما وكتابا من زاويتين مختلفتين:

﴿يسمعون كلام الله﴾ البقرة:٧٥، و﴿قول الحق الذي فيه يمترون﴾ مريم:٣٤، و﴿في كتاب مكنون﴾ الواقعة:٧٨.

فالقرآن كلامٌ يجب أن يُقرأ على الأقل في سورة الحمد في الفرائض، ويُستحسن أن تُعاد قراءتها آناء الليل والنهار، هذه القراءة يجب أن تكون باللغة المنطوقة الشفهية، حيث تخرج الألفاظ من فم القارئ في صيغتها الصحيحة وتبثّ في الهواء. ويُستحسن أن يراعي القارئ قواعد التجويد والترتيل، لأداء القراءة بجودة يستحقّها القرآن الكريم. "والقراءة الصامتة لاتُعتبر قراءةً ولاتنال ثوابها." وهذا يعني أن قارئ القرآن يعكس الوحي الإلهي في إلقاء الكلام الشفهي. والأفضل أن يقرأ قارئُ القرآن آيات هذا الوحي بالاستماع من أستاذ مقرءٍ موثوق به في القراءة، لا بالنظر إلى المصحف فقط، ليؤكّد على البعد الشفهي للقرآن. وفي هذا البعد الشفهي يكون المتلقّي مستمعاً لا قارئا، وعليه أن يُحسن هذا الاستماع مِن على الهواء، وعبر الصوت المدوّى في الفضاء: ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ الأعراف:٢٠٤. فالمرسِل في القرآن الشفهي متكلّم، والمتلقّي مستمع.

وهو في نفس الوقت كتابٌ يستنسخه كاتبٌ بين دفّتين، ويجب أن يراعي رسم الخط القرآني، وإن كان مختلفا عن رسم الخط في الكتابة المتعارفة بين العرب، وهو مصحف يُعاد كتابته دائماً. والمرسِل فيه كاتب والمتلقّي قارئ.

ويجب الانتباه إلى أن القارئ إذا قرأ النص الكتبي باللغة الناطقة (غير الصامتة)، يحوّله إلى نصّ شفهي، لأنّه يُطلق إلى الهواء، ويتميّز بخصوصيات النص الشفهي.

٦-٣. ثلاثة مستويات في كون القرآن الكريم كلاماً وكتاباً:

نستنتج من تفرّد القرآن الكريم بكونه كلاما و كتابا لله تعالى في نفس الوقت، أن لهذا الكتاب المعجز الخالد ثلاثة مستويات:

١. القرآن كلام الله تعالى وليس كتاباً:

يظهر هذا المستوى عندما يدّوي قارئ أصوات هذا الخطاب ويستمع المتلقّي إلى آياته في فضاء عاطفي يثير أحاسيسه بأنغامه الموسيقية. والكلام يقتضي حضور المرسِل أمام المستمع، والمتكلم بهذا الحضور لا يُبقي مجالاً للمستمع ليتدبّر بعقله في مفاهيم كلامه، بل يؤثّر بإيقاعاته الصوتية والموسيقية على عواطفه وأحاسيسه. فالقرآن الكلامي الشفهي تأتي كلماته في نظام خطّي ذي اتجاه واحد كاتجاه لحظات الزمن التي تنتقل من الحال إلى المستقبل بدون إمكانية العودة إلى الماضي.

وحينئذ، يحاور القرآن الشفهي القلوب، ويتسلّل في أعماقها، ليحدث فيها خشوعاً أمام عظمة الله تعالى إذ إنه خالق هذه النغمات التي تعكس موسيقى الكون في دوراناته الصغيرة جداً في ذرّات العالم، والكبيرة جدا في مجرّاته اللامتناهية. إن موطن هذا الإيقاع الموسيقي القرآني هو القلب مركز الأحاسيس والعواطف. والقلب ليس من شأنه

أن يفكّر ويستدلّ ويحتجّ، بل هو يتلذّذ ويحمى ويحبّ ويغلي ليحرّك الإنسان بحرارته في سيره نحو الكمال المطلق بالانجذاب نحو الجمال المطلق. ينبغي هنا أن نستحضر مصطلح "" الجمال لتناسبه مع القلب.

إن ما يؤدّي إلى خشوع المستمع للقرآن الشفهي هو الإحساس بحضور الله كأنه هو يحاوره ويتكلّم معه كما هو الحال في الخطاب الشفهي بين المرسل والمتلقّي: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الحديد:١٦. والمقصود بـ (ذكر الله) هو القرآن الشفهي في الآية الكريمة.

إذن؛ القرآن الشفهي كلام، وجمال، ونغم، وخشوع، وحركة، وحيوية، وحبّ، وسكر.... يحاور القلوب بكل ما يتعلق بالأحاسيس والعواطف.

٢. القرآن كتاب الله تعالى وليس كلاماً:

وهذا يظهر عندما يجلس باحث في مكانه ويفتح المصحف الشريف بين يديه لينظر في مفرداته المكتوبة على الأوراق، المنتظمة في جمل وعبارات ونصوص، دون أن يستمع إلى صوت قارئ بإذنيه. يتسنّى هنا للقارئ أن يقارن بحركة عينيه آخر كلّ آية بأولها (بالعكس من القرآن الشفهي الذي تأتي كلماته في نظام خطّي ذي اتجاه واحد)، ويسمح له أن ينتقل من أول الجملة إلى آخرها ومن أول النصّ (السورة) إلى آخرها ثم يرجع من الآخر إلى الأول مرارا ومرارا، ليكشف عن أسرار التماسك بين كلمات الآية الواحدة وآيات السورة الواحدة وسور المصحف الواحد، و يلمس أسرار اختيار المفردة القرآنية من بين المفردات المترادفة (وأنا أسمّيها: المرادفة) في علاقاتها الاستبدالية (Paradigmatic)، وأسرار انتظام المفردات والجمل والفقرات والنصوص في علاقاتها

التركيبية التتابعية (Syntagmatic). هذا ما يستحقّ وصفه بالكمال (مقابل الجمال في البعد الشفهي).

من جهة أخرى، دراسة القرآن الكتبي تفتح الآفاق لمن يحلل آياته بتفسيره الشخصي الذي يستنبطه وقد يكون مختلفا عن تفسير المفسّرين الآخرين. هذه الإمكانية لخلق قراءات متنوعة ومختلفة عن آية واحدة تتحقق في الجانب الكتبي (لا الشفهي) لأن شأن اللغة الكتبية أن القارئ يتلقي الكتاب أو النص المكتوب في غياب كاتبه ويحسّ بحرية تامة في فهمه وتفسيره بخلاف النص الشفهي الذي يفرض فيه المتكلم قراءته على المستمع بحضوره وبحركات بدنه.

فالقرآن الكتبي: كتاب، وكمال، واستدلال، وتدبّر، وثبات... يخاطب العقول بكل ما يتعلّق بالتفهّم والتعقّل،

٣. القرآن كتاب الله تعالى وكلامه في آن واحد:

هذا المستوى الثالث يظهر عندما يفتح الباحث مصحف القرآن أمامه، وينظر في كلماته وآياته المكتوبة وفي نفس الوقت يقرأها بالنطق الشفهي، فيخرجه من اللغة الصامتة إلى لغة ناطقة تدوّى في السماء. في هذا المستوى يجمع المتلقّي بين القرآن الكتبي المسجّل على أوراق المصحف والقرآن الشفهي الذي ينشر نغماته في الفضاء. ويحظى بإيجابيات اللغتين الشفهية والكتبية.

يرى هذا الباحث أن استحباب فتح المصحف والنظر إلى الآيات المكتوبة فيه عند القراءة الشفهية لهذه الآيات – ولو كان القارئ حافظا لآياته غير محتاج إلى النظر في آيات المصحف الشريف – هو استحباب لتوحيد القرآن الشفهي (كلام الله عزّ وجلّ) بالقرآن الكتبي (كتاب الله المجيد)، مما يلوّح بضرورة التجميع بين مسار القلب ومسار

العقل. حينئذ يلتقي هذا الركنان العظيمان في النفس الإنسانية واحد بالآخر ويستحضر في الأذهان هذه الآية الجميلة: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ الرحمن:١٩-٢٠. وعندما يجمع القارئ بين المستويين الشفهي والكتبي للقرآن الكريم، يلتقي العقل بالقلب والتدبر بالعاطفة دون أن يطغى العقل على القلب ويبغي القلب على العقل.

ثم إن هذا الاستحباب في الجمع بين القرآن الشفهي والكتبي يصل إلى درجة الوجوب في تحديد وظيفة النبي الأكرم (ص) وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الجمعة:٢، ونندهش بحكمة هذه الآية حيث يلقي وظيفتين على عاتق رسوله الأكرم (ص): الأولى تلاوة آيات الرحمن وهي تتمظهر في القرآن الشفهي الذي قلت أنه يحاور القلوب ونحن نعرف أن التزكية التي تلي عملية التلاوة فعل القلب، ثمّ تنقل الآية المعجزة بنا من محاورة القلوب إلى مخاطبة العقول بربط الحكمة ـ وهو فعل العقل ـ بالقرآن الكتبي (الكتاب)!!. ما شاء الله والحمد لله ربّ العالمين.

والقرآن حينئذ كلام وكتاب، جمال وكمال، تدبّر وخشوع، ثبات وحيوية، وعي وسكر... يحاور القلوب بجمالاته كما يخاطب العقول بكمالاته.

الخاتمة والإجابة عن أسئلة البحث:

تمّت دراسة ثنائية اللغتين الشفهية والكتبية أو الكلام/الكتاب في هذا البحث بمنهج وصفي تحليلي، وتوصّل البحث إلى النتائج التالية:

١. الشرائع السماوية جميعها نزلت في كتب (باللغة الكتبية) يتحتّم علينا الإيمان بها، أما القرآن الكريم فقد اتفق معها في كونه كتابا وتفرّد عنها في كونه كلاما في نفس الوقت.

٢. درس الفيلسوف المجدد المرحوم صدر الدين الشيرازي (صدر المتألهين) ثنائية الكلام والكتاب في أحد كتبه في ضوء حكمته المتعالية من منظور حكميّ وأكّد على أن الكلام من عالم الأمر والكتاب من عالم الخلق. يبتعد هذا الرأي الفلسفي عن أجواء البحث عن اللغتين الشفهية والكتبية كمظهرين من مظاهر اللغات البشرية، وينقل الموضوع إلى مراتب العالم من الأمر (ماوراء الطبيعة) إلى الخلق (الطبيعة). ورغم هذا الابتعاد يفيدنا بحثه في أنه يقدّم الكلام على الكتاب (إذ إن الأمر مقدّم على الخلق).

٣. أكّد أرباب العلوم العربية في آرائهم على تقديم اللغة الشفهية على الكتبية على مستوى التنظير في تعاريفهم عن طبيعة اللغة، لكنهم عند التطبيق مالوا إلى تأصيل اللغة الكتبية وتهميش اللغة الشفهية بحجّة أن الكتاب يتمتّع بالثبات والوحدة ويمكنه أن يكون رمز التوحيد بين مختلف الشعوب العربية والإسلامية. أما الكلام فهو يظهر في لهجات شفهية في لغة السوق وتأصيلها مؤامرة عدوانية تهدف إلى تمزيق الأمة الإسلامية.

٤. أكّد أصحاب الدراسات اللسانية الجديدة على تقديم اللغة الشفهية على الكتبية في التعريف بطبيعة اللغات البشرية، وفي التقدّم الزمني الطويل للشفهية على الخط والكتابة وأيضا في المسار الطبيعي في تعلّم الأطفال.

٥. الحديث عن فوارق النصّ والخطاب من أهم الأبحاث اللسانية الجديدة في البحث عن فوارق اللغتين الشفهية والكتبية.

٦. نظرية "فنّ البيان البلاغية" التي أسسها صاحب هذا البحث ورسم معالمها وتم تسجيلها باسمه في الجمهورية الإسلامية الإيرانية تؤكّد على ضرورة التفريق بين اللغتين الشفهية والكتبية نظراً لأن كلاً منهما تختلف عن الأخرى في البنية وفي الوظائف اللغوية.

٧. تؤكّد هذه النظرية على كون اللغة الشفهية نظاما صوتيا غير قارّ يفرض فيه المتكلم آراءه على المتلقين مدعومة بحركات بدن المتكلم عند إلقاء كلمته وخطابه بما لايسمح للمتلقي أن يكون له تفسير مستقل. إن القرآن الشفهي لايتيح للمستمع التدبّر بعقله لفهم الآيات وتفسيرها بل يفتح قلبه للذكر الحكيم ويخشع أمام عظمة صاحب هذا الكلام. فالقرآن الشفهي يحاور القلوب بإثارة الأحاسيس والعواطف.

٨. لكنّ القرآن الكتبي يتيح لمن يقرأه أن يفهم القرآن ويفسره بشكل مختلف عن فهم وتفسير الآخرين. حينئذ القرآن مفتوح على قراءات غير متناهية، وهذه القراءات قراءات عقلية فكرية، ولذلک يمكن القول أن القرآن الكتبي يخاطب العقول ويسهّل لهم عملية الفهم والتفسير.

٩. عندما يجمع القارئ بين القراءة من على النصّ المكتوب والنطق بحروف القرآن يجمع بين البعدين الكتبي والشفهي للمصحف الشريف، ويتسنّى له أن يوحّد بين عقله وقلبه في رحاب القرآن الكريم، ويعرف أن العقل والقلب بحران ﴿يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان﴾.

فهرس المصادر:

الكتب العربية:

القرآن الكريم

- ابن جني، عثمان. (٢٠٠٨). الخصائص. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن خلدون، عبدالرحمن. (١٤١٠هـ.ق). مقدمة. تهران: استقلال.
- بحيري، سعيد حسن. (١٩٩٧). علم لغة النص. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- التهانوي، محمدعلي. (١٩٩٦). كشاف اصطلاحات العلوم والفنون. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- خمري، حسين (٢٠٠٧). نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- درويش، أحمد. (١٩٩٨). دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث. القاهرة: دار غريب.
- الزعبي، زياد. (٢٠١٣). مصطلح الخطاب وتجلياته في الدراسات الحديثة، الإربد: منشورات جامعة الإربد.
- الشاوش ، محمد .(٢٠٠١م). أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص. الطبعة الأولى . تونس: المؤسسة العربية للتوزيع .
- الشيرازي، صدر الدين، (١٣٦٠هـ.ش). أسرار الآيات وأنوار البينات. مقدمة وتصحيح محمد خواجوي. ج١. تهران: انجمن اسلامى حكمت و فلسفه ايران.
- طحان، ريموني. (١٩٧٢). الألسنية العربية. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- العتوم مهى (٢٠٠٤). تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، عمان: منشورات الجامعة الأردنية.
- عصفور، جابر. (١٩٨٥). خطاب الخطاب. بيروت: دار صادر.
- عياشي، منذر. (٢٠٠٢). الأسلوبية وتحليل الخطاب، بيروت: مركز الإنماء الحضاري.
- فضل، صلاح. (١٩٩٢). بلاغة الخطاب وعلم النص. الكويت: عالم المعرفة.
- فهمى حجازى محمود (د.ت). علم اللغة العربية: دار غريب للطباعة والنشر

- قطّوس، بسام (٢٠٠٤). دليل النظرية النقدية المعاصرة. الكويت: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع.
- الكيلاني، عبدالرحمن. (٢٠١٣). اللغة في الخطاب الدعوي عمان: منشورات الجامعة الأردنية.
- مجموعة من المؤلفين. (١٩٩٠). معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- وهبة والمهندس. (١٩٧٤). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. بيروت: مكتبة لبنان.
- يقطين، سعيد> (١٩٩٧). تحليل الخطاب الروائي. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- مهى محمود إبراهيم العتوم، تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث،" ٢٠٠٤. ص ١٠.٥
-

المجلات العربية:

- بغورة، (٢٠٠٠). منهج في تحليل الخطاب. القاهرة: مجلة الإبداع.
- عكاشة، رائد. (٢٠١٣). محاضرة: اللغة في الخطاب الثقافي، ألقاها رائد عكاشة في المعهد العالمي للفكر الإسلامي بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ٢٠١٣.
- غلفان، مصطفى. (١٩٩٨). المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات. مجلة اللسان العربي. الرقم ٤٦.
- الناجح، عزالدين. (٢٠٠٨). مقاربة تداولية لحكمة عطائية، مجلة الخطاب، منشورات جامعة مولود معمري، تيزي وزو، العدد الثالث، صص:٢٦-٤٠.
- المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات،أي مصطلحات لأي لسانيات؟ للدكتور مصطفي غلفان، مجلة اللسان العربي.١٩٩٨. الرقم ٤٦.
-

المصادر من المؤتمرات:

- عبد العظيم، محمد (١٩٩٢). معاني النص الشعري طرق الإنتاج وسب الاستقطار. ندوة صناعة المعني وتأويل النص. نشر جامعة تونس.

المصادر الفارسية:

- **پيرهادي، محسن و ديگران (١٣٩٣). پژوهشی در رابطه كلام و كتاب خداوند در حكمت صدرائی. مجله فلسفه دانشگاه تهران. دوره ١٢ شماره ٢٢، صص: ٦١-٧٩.**
- هال، رابرت ا. (١٣٦٣هـ.ش.). زبان و زبانشناسی، ترجمه إلى الفارسية محمد رضا باطني، تهران: اميركبير.

المصادر في الشبكة المعلوماتية:

نظرية المعرفة. مقالة (ما هي نظرية المعرفة) في موقع aladdin.7olm.org "منتدى علاء الدين السابع للتعليم والتنمية البشرية وتطوير الذات لأكاديمية، أبريل ٢٠٠٩.

نبذة من محاضرة: اللغة في الخطاب الثقافي، ألقاها رائد عكاشة في المعهد العالمي للفكر الإسلامي بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ٢٠١٣.

Epistemology أي نظرية المعرفة. انظر مقالة (ما هي نظرية المعرفة) في موقع aladdin.7olm.org "منتدى علاء الدين السابع للتعليم والتنمية البشرية وتطوير الذات لأكاديمية، أبريل ٢٠٠٩.

- https://analbahr.com/المسألة-الزنبورية-المناظرة-التي-قتلت/
- https://www.ui.ac.ir/page-News/fa/36/news/41286-G1618/
- https://shamela.ws/book/11299/6
- www.Alwarrag.com

The Holy Quran
Ibn Jinni, Othman. (2008). Characteristics. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Ibn Khaldun, Abdul Rahman. (1410 AH). Introduction. Tehran: Istiql l.
Bahri, Saeed Hassan. (1997). Text Linguistics. Beirut: Maktaba Lebanon Publishers
Al-Tahnawi, Muhammad Ali. (1996). Kashr Istilahat Al-Ulum Wa Al-Funun. Beirut: Maktaba Lebanon Publishers.
Khamri, Hussein (2007). Text Theory from the Structure of Meaning to the Semiotics of the Signifier. Algeria: Ikhtilaf Publications.
Darwish, Ahmad. (1998). Study of Style between Modernity and Heritage. Cairo: Dar Ghareeb.
Al-Zoubi, Ziad. (2013). The Terminology of Discourse and Its Manifestations in Modern Studies, Irbid: Irbid University Publications.
Al-Shawish, Muhammad. (2001). The origins of discourse analysis in Arabic grammatical theory, the foundation of text syntax. First edition. Tunis: Arab Foundation for Distribution.
Shirazi, Sadr al-Din, (1360 AH). Secrets of the verses and lights of the proofs. Introduction and correction by Muhammad Khawajawi. Vol. 1. Tehran: Anjuman Islamic Hikmat and Philosophy of Iran.
Tahan, Raymouni. (1972). Arabic linguistics. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Lubnani.
Al-Atoum Mahi (2004). Discourse analysis in modern Arabic criticism, Amman: Publications of the University of Jordan.
Asfour, Jaber. (1985). Discourse discourse. Beirut: Dar Sader.
Ayashi, Munther. (2002). Stylistics and discourse analysis, Beirut: Center for Civilizational Development.
Fadl, Salah. (1992). Rhetoric of discourse and text science. Kuwait: The World of Knowledge.
Fahmi Hijazi Mahmoud (n.d.). Arabic Linguistics: Dar Ghareeb for Printing and Publishing
Qattous, Bassam (2004). Guide to Contemporary Critical Theory. Kuwait: Dar Al-Urouba Library for Publishing and Distribution.
Al-Kilani, Abdulrahman. (2013). Language in the Dawah Discourse. Amman: Publications of the University of Jordan.

A group of authors. (1990). Knowing the Other: An Introduction to Modern Critical Methods. Beirut: The Arab Cultural Center.
Wahba and Al-Muhandis. (1974). Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature. Beirut: Library of Lebanon.
Yaqtin, Saeed> (1997). Analysis of the Novelistic Discourse. Beirut: The Arab Cultural Center.
Mahi Mahmoud Ibrahim Al-Atoum, Discourse Analysis in Modern Arab Criticism, 2004. pp. 5-10

Arabic magazines:
Baghura, (2000). A method for analyzing discourse. Cairo: Al-Ibdaa Magazine.
Akasha, Raed. (2013). Lecture: Language in cultural discourse, delivered by Raed Akasha at
the International Institute of Islamic Thought on November 21, 2013.
Gulfan, Mustafa. (1998). The Unified Dictionary of Linguistics Terms. Al-Lisan Al-Arabi Magazine. No. 46.
Al-Najeh, Ezz El-Din. (2008). A Pragmatic Approach to the Wisdom of Attayya, Al-Khattab Magazine, Publications of Mouloud Mammeri University, Tizi Ouzou, Issue 3, pp. 26-40.
The Unified Dictionary of Linguistics Terms, Which Terms for Which Linguistics? by Dr. Mustafa Gulfan, Al-Lisan Al-Arabi Magazine. 1998. No. 46.

Sources from conferences:
Abdul-Azim, Muhammad (1992). The meanings of the poetic text, production methods and reasons for distillation. Seminar on the making of meaning and interpretation of text. University of Tunis publication.

Persian sources:
Pirhadi, Mohsen and Digran (1393). Research papers on the association of theology and the book of God in the wisdom of Sadrai. Tehran Philosophy Journal. 12th session, No. 22, pp. 61-79.
Hall, Robert A. (1363 AH). Language and language, translated into Persian by Mohammad Reza Batini, Tehran: Amir Kabir.
Sources in the information network:

Theory of knowledge. Article (What is the theory of knowledge) on the website aladdin.7olm.org "The Seventh Aladdin Forum for Education, Human Development and Self-Development of the Academy, April 2009.
Excerpt from a lecture: Language in Cultural Discourse, delivered by Raed Okasha at the International Institute of Islamic Thought on November 21, 2013.
Epistemology, i.e. the theory of knowledge. See the article (What is the theory of knowledge) on the website aladdin.7olm.org "The Seventh Aladdin Forum for Education, Human Development and Self-Development of the Academy, April 2009.